المشاعل في ضوء المصادر المسمارية

م. د. هيفاء أحمد عبد
جامعة الموصل – كلية الآثار

الملخص

عرفت المشاعل منذ فترة مبكرة من حياة المجتمع العراقي القديم إذ تعود الأدلة الأثرية التي تمّ العثور عليها إلى ملايين السنين منذ معرفة الإنسان لاستعمال النار وتوظيفها للإفادة منها في استعمالاته اليومية فقد عرفت المشاعل في اللغة السومرية بعدّة صيغٍ منها مثلاً: IZI.GAR وانتقلت إلى اللغة الأكدية بصيغة šakanu لتشير إلى المشعل "مكان" أو "موضع النار" الذي تنوعت وتعددت طرق الإفادة منه لتلبي احتياجات ذلك العصر ومتطلباته سواء للإنارة أو إشارات ورموز للتلبية لأيّ خطرٍ يهدّد أمن البلاد أو علامات متفق عليها مسبقًا للإشارة إلى أمر ما ولم يغب دور المشعل أيضًا في استعمالاته في الاحتفالات والطقوس الدينية فضلاً عن غيرها من الاستعمالات الأخرى التي تضمنها البحث إذ كان لها دور بالغ الأهمية في المجتمع العراقي القديم آنذاك.

الكلمات المفتاحية: اللغة السومرية، اللغة الاكدية، بلاد الرافدين، السراج، الكتابة المسمارية.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 9, Issue 30, Nov 2022
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Torches in the Light of Cuneiform Sources

Dr. Hifaa Ahmed Abd
University of Mosul
College of Archaeology

Abstract

Archaeological evidence shows that torches were used as early as the beginning of ancient Iraqi society, which was millions of years ago, when people first learned how to use fire, The torches were known in the Sumerian language by several forms, for example IZI.GAR has moved to the Akkadian language in the form of akanu to refer to the torch as' place 'or' place of fire, 'which has many different ways of using it to meet the needs and requirements of that time, whether for lighting or as signs and symbols to meet any threat to the security of the country or pre-agreed signs to refer to something, and did not miss the role of the torch in religious ceremonies and rituals as well as other uses included in the research.

Keywords: Sumerian language, Akkadian language, Mesopotamia, Lamp, Cuneiform writing.

المقدمة:

كان للعراقيين القدماء اهتمام واضح منذ عصور موغلة بابتكار الأدوات المتنوعة ذات الاستعمالات الحياتية الأساسية، وكانت المشاعل من بين هذه الأدوات التي لها أهميتها الكبيرة في الاحتفاظ بشعلة النار ونقلها أثناء التنقل أو السير لإيقاد النار منها أو لاستعمالها في الإنارة عند نقلها من مكانٍ إلى آخر أو تعليقها وتثبيتها على الجدران عند حلول الظلام والعتمة في الليل.

فكان أول استعمال لها بسيطا تمثل بقطعةٍ من الخشب على شكل قضيبٍ ملفوفٍ في إحدى نهايته صوف أو قماش مبلل بالقار أو الدهون الحيوانية أو أنواع من الزيوت أو ربما استعمل مواد أخرى ايضًا للاشتعال، فكانت بذلك تدوم شعلة النار موقدة ومنها كانت توقد الأخشاب أو مواد الوقود الأخرى مصدرًا للنار.

ثم تطور صنع المشاعل بمرور الزمن على هيأة آنية حجرية أو فخارية أو معدنية كروية كانت توضع في الزيوت وتربط أو تثبت على قضبات خشبية نتيجة الحاجة المتزايدة لاستعماله في الحياة اليومية وبعدّة أشكال ومن ثم استعملت في الطقوس الدينية وفي شارات الحروب، فضلاً عن أنَّه استعملت لأغراض شتى أخرى عبر مراحل التأريخ القديم ولاسيما للإضاءة وزيادة مستويات الانارة في البيوت، والقصور، والمعابد، وفي القلاع، والسراديب، وفي أماكن وممرات خاصة للإنارة.

ونظراً لأهمية الموضوع جاء اختيارنا له للبحث فيه وإلقاء المزيد من الضوء على حيثياته فضلاً عن دراسة مفردة المشاعل لغويًا، إذ ورد ذكرها في العديد من الشواهد اللغوية والأدبية مثل: الملاحم، والأساطير، والنصوص الدينية، وفي الكتابات الملكية، والرسائل في عصور مختلفة من تاريخ العراق القديم.

إلى ذلك ورد شكل المشاعل في العديد من المشاهد الفنية على المنحوتات العراقية القديمة فقد كان المشعل يؤشر إلى بعض الرموز في المعتقدات القديمة ومنها على سبيل المثال لا الحصر: رمز الإله (نسكو nasku) إله النار في المعتقدات العراقية القديمة وكان رمزًا للمسرجة.

وبذلك كانت للمشاعل اهميتها في مجمل مناحي الحياة آنذاك ورمزيتها ممّا اقتضت طبيعة الدراسة توضيحها وإبرازها في هذا البحث.

المشاعل لغة:

اشتق المصطلح من الجذر (ش – ع – ل) وهو اسم فاعل أشعَل يَشعل إشعالاً فهو مشعل والمفعول مُشعَل ويقال: لهب النار شُعلةَ قنديل[١]، واقبس الرجل علمًا وقبسه نارًا، والقبس شُعلة النار لقوله تعالى في قصة النبي موسى (عليه السلام) ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ ﴾ [سورة طه: الآية: ١٠] [٢]. ويذكر أشعل فلانًا هيّج غضبه، وأشعل الفتنة وسَّعها وأشعلت النار التهبت واتقدت وفلان غضبًا هاج والرأس ونحوه انتشر فيه الشيب وفي قوله تعالى ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ [سورة مريم: الآية: ٤]، والأشعل من الخيل ما خالط شعره بياضًا، وقد يصف فلان كأنَّه نشاط أو شعلة كناية له بشدّة الذكاء[٣].

والشعلة من النار الملتهبة وأشعلت النار أشعلها إشعالاً والشعيلة، النسيلة، أي: الفتيلة.

المشاعل اصطلاحًا:

الشعلة الحرارة الساطعة واللهب وشعلة الموقد أداة مستديرة ذات ثقوب ينفذ إليها الغاز فيلتهب محدثة وخرق يلف على رأس عصا ونحوها تغمس في الزيت وتوقد للاستضاءة[٤].

والمشعل هو إناء له قوائم يستند عليها كهيأة المزولة[٥] توضع فيها شعلة من النار تحمل إلى مسافات بعيدة من مكانٍ إلى آخر من دون أنْ تنطفئ رمزًا لديمومة واستمرارية فكرة العمل التي أوقدت لأجلها النار، وقد يكون شكل تلك القطعة حديدية مستديرة مثقبة ينفذ إليها الهواء (الأوكسجين) ليشتعل[٦]، وقد يكون المشعل أيضًا بشكل إناء معدني كبير توضع فيه مواد قابلة للاحتراق؛ لأجل الدفء، والحرارة، والإنارة[٧].

المشعل في المصادر المسمارية

ورد ذكر العلامة الصورية الدالة على المشعل، في الألواح الكتابية الاولى التي تعود إلى ما يقارب الـ ٤٥٠٠ قبل الميلاد بالعلامة ومن ثم تطورت إلى العلامة المسمارية على مرّ العصور التالية (الشكل رقم ١) [٨].

وعرف المشعل في اللغة السومرية بالصيغة GIŠ/GI.IZI.GAR ووردت الإشارة إليه أحيانًا بصيغة IZI.GAR[٩] التي تتكون من مقطعين تعني العلامة الأولى IZI التي يقابلها في اللغة الأكدية išatu ، ešittu بمعنى (نار، إشارة نارية، شعلة)، في حين تعني العلامة الثانية GAR (مكانًا، وضعًا، موقعًا) والتي يقابلها في اللغة الأكدية šakānu فيصبح معنى الكلمة (مكان النار، موضع النار) إشارة إلى dipāru المشعل الذي يوقد به النار[١٠]، كذلك جاء معنى المشعل في اللغة السومرية بصيغة GI.IZI.LÁ وفي اللغة الأكدية dipāru ، gizillû[١١].

فضلاً عن ذلك تمّت الإشارة إلى المصطلح بالصيغة السومرية ^{giš}GIBIL $GIBIL_2$[١٢] والذي يرادفها في اللغة الأكدية qilûtu، بمعنى (شعلة، موقد نار)[١٣] وأحيانًا بصيغة DÈ.DAL(LA) وفي اللغة الأكدية d/ṭilallu، nablu ليدل على معنى (مشعل، لهبة)[١٤].

وقد عرف إله النار عند العراقيين القدماء في اللغة السومرية ^{d}BIL.GI ويقابله في اللغة الأكدية gira، girra(u) ، أي: الإله گيرا[١٥]. إذ ورد ذكره في أساطير العصر البابلي القديم بأنَّه بطل للآلهة[١٦] ومسؤول عن اللهب[١٧]. وعدَّ الإله نسكو إله النار والضوء ورمز له بالمسرجة (الشكل رقم ٢) وقد وصف بأنَّه يحرق السحرة والمشعوذين[١٨].

وفي ملحمة كلكامش[١٩] أشير فيها أنَّ الهة الانوناكي[٢٠] رفعت المشاعل لتضيء البلاد بنورها كما في النصّ الآتي:

"^{d}a-nun-na-ki iš-šu-ú di-pa-ra-a-ti
ina nam-ri-ir-ri-šú-nu ú-ḫa-am-ma-ṭu
ma-a-tum".

"الهة الانوناكي رفع (وا) المشاعل (وا) بنورهم أضاءوا (اضرموا) بها الأرض"[٢١].

أما شكل المشعل فظهر على أختام العصر الأكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م) بوضوح (الشكل رقم ٣)، ويبدو ذلك من مشهد الإله الأفعى وآلهة أخرى جالسين يفصل بينهما مشعل ينبعث منه لهب النار وعلى الجزء العلوي من المشهد نقش الهلال رمز الإله سين (الشكل رقم ٤) [٢٢] ، وظهر على مشهد آخر من العصر نفسه الأشخاص ذاتهم، فضلاً عن المشعل في الوسط والهلال رمز الإله سين. كذلك يبدو عليه شكل النجمة الثمانية رمز الإله شمش ويظهر خلف الإلهين عنصرٌ متكررٌ يتألف من نجمة على عمود في أسفله هلال، وتتوسط العمود ثلاثة خطوط أفقية متوازية وللعمود من الأسفل رأس مدبب يشبه رأس الرمح، رمز الإله شمش[٢٣] (الشكل رقم٥).

تقنية عمل المشعل

من المحتمل أنَّ بداية صناعة المشاعل كانت منبثقة من فكرة الحفر الصغيرة التي تحيطها مجموعة من الأحجار والتي تكون على شكل دائرة تستعمل للتدفئة والطهي وللإضاءة واستعمالات أخرى، وقد بقي استعمال هذا النوع من المواقد إلى الوقت الحاضر ثم استوحى فكرة صناعة الفخار من هذه المواقد بإحراق النار داخلها ممّا جعلها تتصلب وتتماسك ومع مرور الزمن ومع زيادة متطلبات الحياة ورغبة الإنسان في التطور والتنقل ظهرت فكرة ابتكار مشاعل متنقلة تحمل باليد للإنارة وتلبية متطلبات الإنسان الأخرى[٢٤].

ومن المواد المستعملة لعمل المشاعل تضمنت الأواني المعدنية المصنوعة من النحاس ومعادن أخرى والأخشاب المعمولة من خشب الأرز، والسرو (الرانتج)، والقصب، والزيوت العطرية، أو شحوم حيوانية، فضلاً عن مواد أخرى لإيقاد النار منها: الكبريت مع استعمال قطع من الصوف بعد تغطيسها بالزيت وإشعال النار وإلقائها في آنية تلك المشاعل، وكان المشعل يحمل باليد عاليًا بمحملٍ من الخشب أو ربما المعدن أيضًا[٢٥] ويستعمل للإنارة ليلاً[٢٦] ولاسيما إذا عرفنا أنَّ بداية استعمال الإنسان للمصابيح البدائية للإضاءة كانت مصنوعة من الحجر المجوف يتمّ ملؤها بالشحم والدهون وتحرق بفتيل من الحشائش الجافة[٢٧]، ويرجّح أنَّ آنية المشاعل كانت تصنع من عظام المفاصل مع استعمال الحشائش الجافة لتقوم مقام الفتيل بالطريقة نفسها وللغاية نفسها، ثم تطورت صناعة المشاعل باستعمال الفتائل الطويلة المكسوة بالشمع والمكونة من حزم القصب وحزم نبات الاسل[٢٨].

استخدامات المشعل

كانت الكهوف الملجأ الأول لسكنى الإنسان البدائي والملاذ الآمن من الظروف البيئية المحيطة به ولتوفير سبل الحماية والراحة والرفاهية له اهتدى إلى استعمال النار للإفادة منها في التدفئة والإنارة[٢٩]، بحرق عيدان الحطب وبمرور الزمن اهتدى إلى صنع شعلة من حزم القصب أو الخشب وغمرها بمواد شحمية حيوانية أو زيوت نباتية؛ لأجل إبقائها أطول مدّة ممكنة ثم حصل تطور في صناعة شكلها والتي عبر عنه بالمصطلح dipāru ، أي: المشعل الذي يحمل النار كما ذكر سابقًا[٣٠].

وعلى ما يبدو أنَّ الإنسان القديم كان على علم بخواص تلك المشاعل الخشبية التي كانت تعمل بشكل أفضل، إذ كانت تدوم طويلاً تصل إلى متوسط ٤١ دقيقة لتسلط الضوء في الاتجاهات جميعًا وبما يقارب من ٦ أمتارٍ أو ٢٠ قدمًا فضلاً عن سهولة استعمالها[٣١]، وعدّت المشاعل بديلاً عن الإشارات والتنبيه بحدوث أمرٍ ما، وعدّت رسائل ومدلولات رمزية من المرسل تحمل إلى الشخص المعني بوقوع شيء بالضوء المنبعث من تلك المشاعل أثناء حرقها والتي تصل إلى مسافات بعيدة أثناء النظر إليها كما جاء في النصّين الآتيين على التوالي:

"**سيدي يجب أنْ أنتبه إلى مسألة إشارات المشعل**"[٣٢].

"**أمس خرجت من ماري وأمضيت الليل في زوروبان، واليامانيون جميعًا رفعوا المشاعل، من سوم إلى ايلوما – مولوك ومن ايلوم – مولوك حتى ميشلان، جميع مدن اليامانيين في منطقة ترقا رفعوا المشاعل جوابًا، وأنّي لم استطع حتى الآن أنْ أجد السبب لتلك**

المشاعل ولكني سأحاول أنْ أجد السبب وسوف أكتب إلى مولاي، ولكن ليتقوى حرس ماري، وعسى أنْ لا يخرج مولاي من الباب"(٣٣).

وعلى ما يبدو أنَّ المشاعل كانت ترسل تلك الإشارات للإنذار بحيث يمكن مشاهدتها من المناطق المرتفعة من البلاد وربما متفق عليها مسبقًا؛ ليتمّ مراقبتها ولتكون محط أنظار للأشخاص المكلفين بمراقبتها تحسبًا لأيّ أمرٍ وهذا ما أشار إليه النصّ الآتي:

"في الجزء العلوي من البلاد، كانوا مهملون بالنسبة لـ (إشارات) الشعلة وما أشاروا"(٣٤).

وقد تكون إشارات تلك المشاعل لطلب النجدة أو لطلب الإمدادات العسكرية؛ لتعرّض البلاد لخطر الهجوم كما يتضح ذلك من النصين الآتيين:

"نيران المشاعل إضاءة (للإعلان) عن (اقتراب) العدو"(٣٥).

"وإشارة (المشاعل) في جميع أوقات الليل(٣٦) **بخصوص نارين نشعلها في السماء ربّما تأتي البلاد كلها للإنقاذ"**(٣٧).

"di-pa-ar ni-ku-úr-tim išātum
ina mātim ittananpaḫ[ḫa]".

"مشاعل النار للأعمال العدائية، سوف تندلع (تشتعل) في المدينة مرارًا وتكرارًا"(٣٨).

وربّما كان لعدد إشارات المشعل مدلولات معينة في العصور القديمة وبحسب الاتفاق المسبق بين الطرفين سواء كانت إشارة واحدة أو أكثر (بمثابة الشفرات) وكما يتضح ذلك ممّا ورد في مضمون النصّين الآتيين:

"أكلم مولاي، أنا زيدريا خادمكم، كتب لي مولاي عن إشارة المشاعل قائلاً: لماذا رفعت إشارة المشاعل ألم يصدر الأمر لرفع إشارة مشاعل من "هانا" ومن هنا فقط، هذا ما كتب لي مولاي، حسنًا حين أرى إشارة مشعل لن أرفع إشارة مشعل، ولكن حين أرى إشارتين فإنّي سأجمع البلاد وأرفع إشارتين(٣٩).

"a-na be-li-ia ia-[ú]s-ma-aḫ-(il)addu
qi-b[í]-ma
um-ma n[i(?)-š]a(?)-ke-nu-um
waead-ka-a- ma
ki-ma 2 di-pa-rù
in-na-šu-ú
be-li is-pu-ra-am
mi-im-ma 2 di-pa-ri
u-ul ni-mu-ur
[i-n]a ma-a-tim e-li-tim

a-na di-pa-ri-im
i-gu-ma di-pa-ra-am
ú-ul iš-šu-ú
be-li a-na ša di-pa-ri-im
li-na-ah-ḫi-id
šum-ma nu-ḫi-it-tum-ma
m[i]-im-ma it-ta-ab-ši
[1(awil)]pa-ḫa-tu-um
[iš-ša]-ak-ka-an".

"إلى سيدي ياسمخ – أدد، قُل ما يأتي: هكذا (يقول) نيشا – كينوم خادمكَ، بحسب ما كتب لي سيدي أنَّه قد تمّ رفع مشعلين. ولم نرَ أيًّا من المشعلين، كانوا مهملين بخصوص المشعل في الأرض المرتفعة، ولم يرفعوا المشعل. لينتبه سيدي إلى مسالة رفع المشاعل. إذا تمّ إعطاء أيّ تحذير حقيقي، فسيُثبت [وكيل] مسؤول المقاطعة (الحاكم)"(٤٠).

إلى ذلك وفي هذا السياق نجد الإشارة إلى أنَّ ملوك العراق القديم رمزوا إلى العدالة بشعلة النار في خطابهم السياسي بوصفه الأساس الذي كان يعتمد عليه الحكم لتوطيد العلاقة بين الشعب والملك، وربّما عدَّ استعمال الشعلة من الملك نوعًا من اتمام مراسيم تطبيق العدالة، إذ يتبين ذلك من النصّ الآتي:

"i-nu-ma be-li ^{Gi}di-pa-ar KÙ.GI a-na UD.KIB.NUN^{ki} iš-šu-ú mi-ša-ra-am a-an ^{d}UTU ra-i-mi-šu iš-ku-nu-ma ^{p} ta-ri-ba-tum UGULA AGA.UŠ^{MEŠ} DI.KUD^{MEŠ} KÁ.DINGIR.RA^{ki} ú-še-ši-bu-ma DI.KUD - a-tim ša ^{lú}UD.KIB.NUN $^{ki.MEŠ}$ i-mu-ru-ma ṭup-pa-a-at ši-ma-at ša A.ŠÀ É ù GIŠ.SAR iš-mu-u sa i-na mi-ša-ri wa-ṣi-aú-ḫe-ep-pu-ú".

"عندما رفع سيدي الشعلة الذهبية لمدينة سبار مؤسسًا أوامر العدالة للإله شمش (الذي) يحبه وسكنوا (التقى) تاريباتم مشرف المشاة وقضاة مدينة بابل وقضاة مدينة سبار في مدينة سبار (عاينوا) القضايا العائدة لمواطني مدينة سبار وفحصوها واستمعوا ((قرؤوا)) إلى نصوص بيع الحقوق والبيوت والمزارع وأمروا بتحطيم تلك الألواح والتي بموجبها كانت الأرض ستحرر بأمر العدالة"(٤١).

استعمال المشاعل في الطقوس الدينية

كانت للمشاعل أهمية كبيرة في أداء الطقوس والاحتفالات الدينية فقد أشارت إحدى النصوص من عصر أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) إلى القيام بتجهيز السفن والقوارب بمادة

الزيت؛ للاستعداد للاحتفال بـ (عيد المشاعل) بمشاركة عددٍ من الآلهة التي ستخرج في ذلك الاحتفال الديني ويمكن أنْ نجد صدى ذلك في النصّ الآتي:

"3(bán) ì -giš-lugal
má nin-ḫi-li-sù ^{d}dumu-zi
1(bán) 7 sila ì má du$_{8}$-a
15 gín ì siskur-ra
10 gín ì -má kar-re tag-ga
má gi-izi-lá-a ^{d}nanše…..".

"٣(بان) زيت سمسم ملكي
لقارب الإله دموزي ^{d}dumu-zi
١ (بان) ٧ سيلا من الزيت لسدّ (لتجهيز) القوارب
١٥ شيقل زيت القرابين (الذبائح)
١٠ شيقل زيت للقارب المربوط (على) الرصيف (الشاطيء) (وهو) قارب حمل شعلة الإله نانشة...."[٤٢].

فضلاً عن ذلك فقد كان لكهنة المعابد دورها في استعمال المشاعل بإجراء بعض الطقوس الدينية وهو ما أشير له في النصّين الآتيين:

"^{d}kú . SUD šangá . maḫ ^{d}Enilíl . la . ke$_{4}$
(KID) [níg.n] a gi.izi. lá
ba-ni-íb.è".

"الكاهن الأعلى للإله انليل تتأرجح المبخرة والشعلة (بيده)"[٤٣].

"يقود المشعل من برج المعبد ويدخل به من الباب إلى الفناء الرئيس"[٤٤].

وعدّ عيد اكيتو[٤٥] من الاحتفالات الدينية المقدسة لدى العراقيين القدماء فقد ضمت العديد من مراسيم الطقوس والفعاليات الدينية وكان لاستعمال المشاعل دورها المهم في تلك الطقوس[٤٦]، ففي مساء اليوم الخامس كان الملك يشارك في ساحة المعبد بطقوس معينة بحفر حفرة في الأرض وكان يتمّ جلب حزم القصب المكونة من ٤٠ قصبة يتم ربطها إلى سعفة وبجوار الحفرة يربط ثور أبيض اللون ومن ثم يقوم الملك والكاهن بإحراق النار في الحفرة لتكون شعلة كبيرة ويذبح الثور مع أداء تراتيل وأدعية بالمناسبة قائلين: **"ثور مقدس، نار رائعة تقضي على الظلام"**[٤٧].

ويبدو أنَّ استعمال المشاعل في الطقوس الدينية كانت محط اهتمام كبير من الكهنة باختيار نوع القصب المستعمل ربّما لجعل الإضاءة جيدة والتقليل من الدخان المتسرب، إذ ذكر في النصّ الآتي فيما يخصّ ذلك:-

"بالنسبة إليك (الجزء من أداء الطقوس) أصنع المشعل من القصبات المختارة"[٤٨].

ومن بين الطقوس الدينية ذات العلاقة أيضًا طقس فتح فم الإله وغسله، إذ يعقب ذلك تقديم القرابين إلى الآلهة ايا والإله مردوك مع ترديد بعض التراتيل وبعد الخروج من موضع صنع التماثيل يتمّ تقديم المشاعل لتمثال الإله المحول حتى شاطئ النهر ومن ثم أداء بقية الطقوس الأخرى لإتمام تلك العملية[٤٩].

ووردت الإشارة إلى استعمال المشاعل أثناء مراسيم البكاء والنواح على موت تموزي في ملحمة كلكامش، فقد ذكر في نصّ التقويم البابلي مواكب العزاء في اليوم التاسع التي كانت تجري حتى الليل على أضواء المشاعل ويكرر الموكب في اليوم السادس عشر والسابع عشر[٥٠] حتى أنَّه عرف أحد أشهر السنة بـ (شهر المشاعل)، إذ أشار سكان مدينة نيبور إليه في اللغة السومرية بمصطلح IZI.GAR وأطلق البابليون عليه بشهر احتفال abu ؛ توضيحًا لمشعل النار إذ كانت تحمل المشاعل النارية ليلاً لأرواح الموتى كما في النصّ الآتي:

abū هو شهر Sirius والإله ننورتا جمرات النار تضيء، وهناك مشاعل تحمل لأجل أرواح الموتى إله النار ينزل من السماء الأبطال في العالم السفلي يصعدون من البوابات في اليوم التاسع بين abū إله الشمس الذي يصل ذروته في الانقلاب الصيفي في الشهر السابع tammuz الآن يبدأ الحداد باتجاه الانقلاب الشتوي[٥١].

وممّا تجدر الإشارة إليه أيضًا قيام الكهنة بإجراء بعض الطقوس لطرد الأرواح الشريرة لشفاء المرضى المصابين بالطاعون باستعمال المبخرة والمشعل ويتضح ذلك في النصّ الآتي:

"niknakku gizillû i-da-tu-uš-šu-nu
TA erši ša marşi ušalbâ".

"يجب أنْ يسيروا حول سرير المريض مبخرة وشعلة تتبعهم"[٥٢].

كذلك كان استعمال المشاعل ضروريًا في الحملات العسكرية فقد أظهرت المنحوتات الآشورية بوضوح في القصر الجنوبي الغربي في نينوى والتي يعود تاريخها إلى ما يقارب الـ(٦٤٥ ق.م) تظهر على مشهد لإحدى الحملات العسكرية يبدو فيها جندي يقوم بإيقاد المشاعل (الشكل رقم ٦).

وظهر مشهد آخر على المسلة السوداء[٥٣] لحملة الملك شلمانُ اوصر[٥٤] (شلمنصر الثالث) إلى منابع دجلة يرينا زيارة إلى تلك المنطقة مع استعمال الجنود ربّما لبعض الأنفاق للوصول إلى تلك المنابع، إذ يظهر لنا المشهد تيار مياه دجلة في إحدى الأنفاق التي يمرّ منها الجنود وقد عمدوا إلى استعمال أو تثبيت المشاعل على جدران تلك الأنفاق للمرور منها (الشكل رقم ٧).

الاستنتاجات:

بتسليط الضوء على هذا العنصر المهم من عناصر الحضارة العراقية القديمة أظهرت الدراسة جملة من الاستنتاجات أبرزها:

١. يرجع تأريخ معرفة الإنسان للمشاعل إلى ملايين السنين فقد كان على علم ودراية بخواصها وتقنيتها.
٢. تنوعت استعمالات المشاعل بحسب الحاجة إليها فعلى الرغم من الإفادة منها ليلاً للإضاءة فقد عدّت رموزًا وإشاراتٍ للتنبيه وطلب المساعدة في حال اقتراب الأعداء فضلاً عن أنَّها أدّت دورًا مهمًا في الطقوس، والاحتفالات الدينية، والحملات العسكرية وغيرها من الاستعمالات الأخرى.
٣. لا تزال المشاعل تستعمل إلى الوقت الحاضر ولاسيما في بعض المناسبات الدينية وفي افتتاح الألعاب الأولمبية.
٤. لقدسية المشاعل عند العراقيين القدماء فقد لقبت بعض الآلهة بألقاب وصفات دخلت ضمنها المشاعل فضلاً عن دورهم المهم في بعض الطقوس الدينية، والملاحم، والأساطير.
٥. ظهرت المشاعل بأشكال مختلفة منذ ظهورها بشكلها الصوري وصولاً إلى المشاهد الفنية المنفذة على الأختام، والمسلات، والمنحوتات ذات الموضوعات الحربية.
٦. التقنية في صناعة المشاعل باستعمال المعادن، مثل: مادة النحاس أو الفخار والعظام فضلاً عن أنواع مختارة من القصب الجيد، والأخشاب، واستعمال الزيوت العطرية وشحوم الحيوانات؛ لإيقاد تلك المشاعل وغيرها من المواد الأخرى.

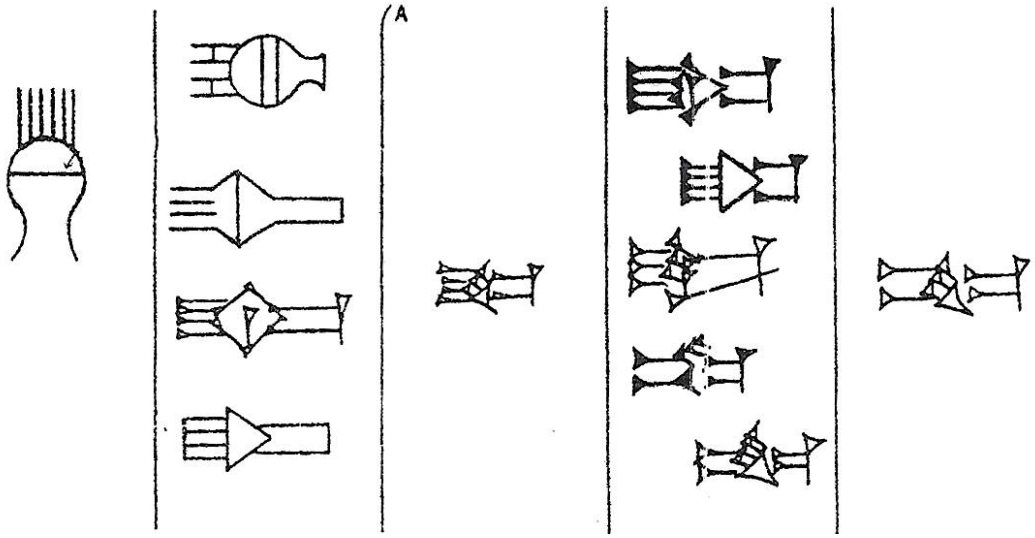

الشكل رقم (١)

لابات، رينيه، قاموس...، المصدر السابق، ص١١٠.

الشكل رقم (٢)

Black, J. and Green, A., Gods Demons and Symbol of Ancient Mesopotamia, England, 1998, p. 116.

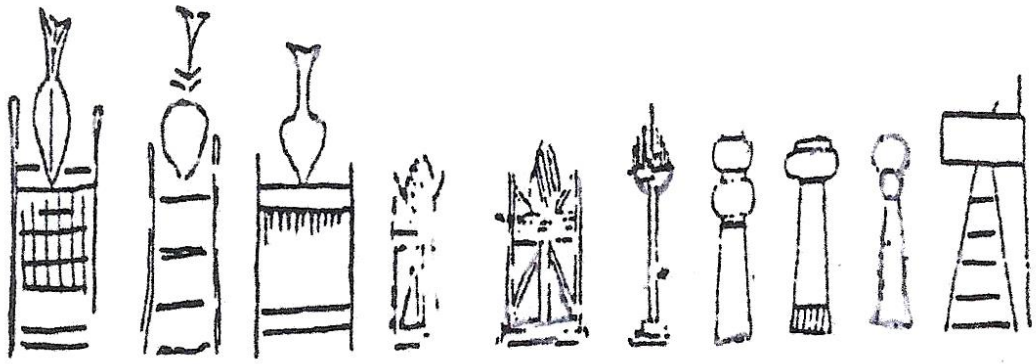

الشكل رقم (٣)

ليفي، مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة: محمود فياض المياحي، وآخرين، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٩١.

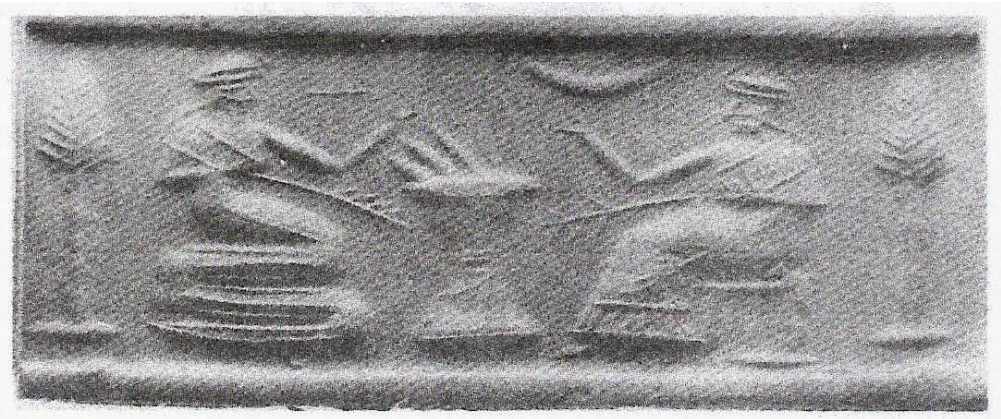

الشكل رقم (٤)

رشيد، صبحي أنور، وحياة عبد علي، الاختام الأكدية في المتحف العراقي، بغداد، ١٩٨٢، ص٨٣.

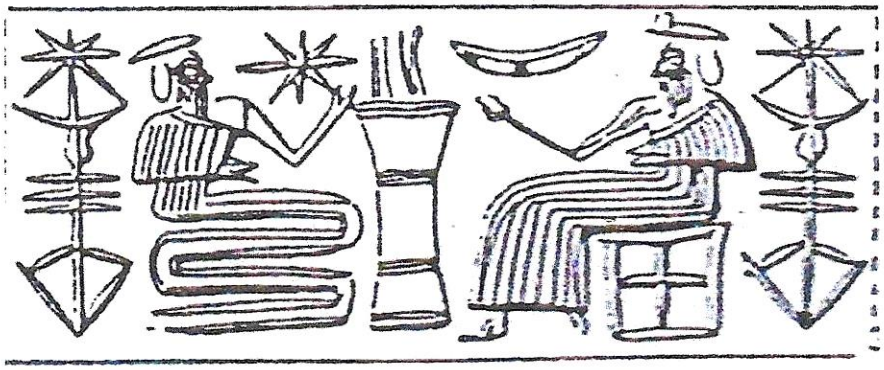

الشكل رقم (٥)

Müller Karpe, "Hand Buch Der Vorgeschicgte", Jungsteinzeit TextUnd Tafeln, Zweiter Band, n.d., München.

الشكل رقم (٦)

ستيل، فيليب، العراق القديم، ترجمة: عبد السلام صبحي طه، بغداد، ٢٠١٩، ص٥٠.

الشكل رقم (٧)

Amin, O.S.M., The Black Obelisk of Shalmaneser III at the British Museum. Ancient History Encyclopedia. 2016, p.10.

الهوامش

References

(١) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، الرياض، ٢٠٠٨، ص١٢١١.

(٢) بن زكريا، ابو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دمشق، ١٩٧٩، ص٤٨.

(٣) مصطفى ابراهيم، أحمد الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٤٨٥.

(٤) الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، بيروت، ١٩٨٧، ص٨٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٨٧٠. كذلك ينظر: مصطفى ابراهيم أحمد الزيات، وآخرون، المصدر السابق، ص٤٨٥.

(٦) عمر، أحمد مختار، المصدر السابق، ص١٢١١. كذلك ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني ابو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، ١٩٦٥، ص٢٦٢.

(٧) عمر، أحمد مختار، المصدر السابق، ص١٢١١.

(٨) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: البير ابونا، وليد الجادر، خالد سالم اسماعيل، مراجعة واشراف: عامر سليمان، بغداد، ٢٠٠٤، ص١١٠.

(٩) سليمان، عامر، المعجم الأكدي، بغداد، ١٩٩٩، ص١٠٢، ص٢١٩. كذلك ينظر:

Black, J., and Others, A Concise Dictionary of Akkadian, Wiesbaden, 1999, CDA, d, p.60: b.

(١٠) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكدية – العربية، ابو ظبي، ٢٠١٠، ص٢٢٧.

(١١) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص٢٧٧، العلامة: ٨٥. كذلك ينظر: CDA, d, p.60: b.

(١٢) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص١١١، العلامة: ١٧٢، ١٧٣. كذلك ينظر: الراوي، فاروق ناصر، قاموس المفيد لطالب اللغة السومرية، بغداد، ب.ت، ص١٠٣.

(١٣) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص٢٢٧، العلامة: ٥٤٨.

(١٤) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص١١١، العلامة: ١٧٢. كذلك ينظر:

Oppenhem, L. and Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, 1956, CAD, Q, p.69: a.

(١٥) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص١١١، العلامة: ١٧٢. كذلك ينظر:

Frankena R., Girra und Gibil, Reallexikon Der Assyriologie, RLA3, Berlin, 1990, p.383.

(١٦) لقبت بعض الآلهة، مثل: الإله نركال بـ الموقد المقدس وغضب الأرض السفلى، اذ اعتقد العراقيون القدماء بأنَّ غضب الإله نركال يؤدي إلى ارتفاع حرارة الأرض فكانوا يقومون برشّ الماء على الأرض؛ لإطفاء غضبه وقد وصف في العصر الأكدي بـ الساخن الملتهب، المشعل. ينظر: الشاكر، فاتن موفق فاضل علي، رموز أهم الآلهة في العراق القديم "دراسة تأريخية دلالية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص١٧١. كذلك ينظر: خنانيا، اشور ملحم، كاتب وكتاب (دراسة نقدية)، مجلة بين النهرين، العدد ١٥١-١٥٢، بغداد، ٢٠١٠، ص٢٥٦.

(17) Leick, G.A., Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London, 1997, p.68.

(18) Black, J., and Green, A., Goods Demons and Symbol of Ancient Mesopotamia, England, 1998, p.145. See also: Leick, G.A., Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London, 1991, p.136.

(١٩) ملحمة كلكامش: إحدى الملاحم الشعرية من أدب العراق القديم عرفت باسم بطلها كلكامش ملك اوروك (الوركاء)، تدور أحداث الملحمة حول كلكامش وانكيدو وكيف أصبحا صديقين انطلقا في رحلة دامت ستة أيام في غابة الأرز وقتلهم لحارسها خومبابا وقطع شجرة الأرز المقدسة وبعد سلسلة من الأحداث وموت انكيدو حزن كلكامش كثيرًا وقرر البحث عن الخلود إلا أنَّه في نهاية المطاف اكتشف بأنَّ سرّ الحياة الخلود لا ينالها إلا الإله وأنَّ الموت هو من نصيب البشر، لاقت هذه الملحمة اهتمامًا كبيرًا وواسعًا وترجمت إلى العديد من لغات العالم. ينظر: هوك، صموئيل، هنري، الاساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة: يوسف داؤد عبد القادر، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٥. كذلك ينظر: إنيني، سن ليكي، ملحمة كلكامش هو الذي رأى، ط١، تعليق: جرجيس ناصيف، بيروت، ١٩٩٢.

(٢٠) إله الانانوكي: هم مجموعة من الآلهة السومرية الأكدية البابلية والآشورية ذكرت في الأساطير السومرية واختلفت الآراء حول طبيعتهم وعددهم وقد أشير إليهم بأنَّهم ينحدرون من الإله انو وتمّ تصويرهم على أنَّهم القضاة السبعة. ينظر: مهدي، وليد، الانوناكي الهة العصور والدهور، بغداد، ٢٠١٧، ص١-٢. وكذلك ينظر:

Deimel, A.S., Pantheon Babylonicum, Roma, 1914, p.118.

(21) Parpola, S., Epic of Gilgames SAACT, Vol. 1, Helsinki, p.110.

(٢٢) رشيد، صبحي أنور، وحياة عبد علي، الاختام الأكدية في المتحف العراقي، بغداد، ١٩٨٢، ص٨٢.

(23) Muller, K., "Hand Buch Der Vorgeschic Jungsteinzeit Textund Tafeln, Zweiter Band Munchen Tafel, 212, No.30, p.80.

(٢٤) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، موصل، ١٩٧٩، ص٢٨-٢٩. كذلك ينظر: عطية، عبد الرحيم حنون، المواقد والافران في العراق القديم ما بين التقنية والاستعمال، مجلة كلية التربية، العدد ٢٨، جامعة ميسان، ٢٠١٧، ص١٦٥-١٦٧.

(25) CAD, g, p.114: a.

كذلك ينظر: ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩، ص٢٢٥.

(26) CAD, q, p.10: a.

(٢٧) تشاليد، جوردن، ماذا حدث في التاريخ، ترجمة: جورج حداد، القاهرة، ١٩٥٦، ص٣٦.

(٢٨) الاسود، حكمت بشير، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين، بغداد، ٢٠١٠، ص٩٦.

(٢٩) رياض، زينب عبد التواب، الكهف بين الحياة والموت في عصور ما قبل التاريخ، مصر، ٢٠١٥، ص٢-٣.

(٣٠) محمد، محمد، موسوعة اختراعات وابتكارات العالم من عصور ما قبل التاريخ إلى اليوم، مصر، ٢٠٢٠، ص١٨. كذلك ينظر: الجادر، وليد محمود، المدينة والبناء في بلاد الرافدين، مجلة كلية الآداب، ملحق العدد ٢٣، بغداد، ١٩٧٨، ص٧٨.

(٣١) نخبة من الباحثين، تجربة ذكية تكشف كيف استخدم أسلافنا مصادر الإضاءة في الكهوف، د.م، ٢٠٢١، ص١.

(32) CAD, d, p.158: a.

(٣٣) دالي، سيتفان، ماري وكارانا – مدينتان بابليتان قديمتان، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٦٧.

(34) CAD, d, p.158: a.
(35) CAD, d, p.157: b.
(36) CAD, d, p.158: a.
(37) CAD, d, p.158: a.
(38) CAD, d, p.157: a.

(٣٩) دالي، سيتفان، المصدر السابق، ص٢٦٧.

(40) Dossin, G., Correspondance de IASMAH-ADDU, ARM, 5, Paris, 1952, No. 68, p. 94-95.

كذلك ينظر

CAD, d, p.157: b.

(41) Finkelstein, J.J. "Some New Misharum Material and its Implications, AS, Vol. 16, (1965), p. 233-34: 1-9.
(42) Kutscher, R., A Torchlight Festival in lagaš, ASJ.5, Japan, 1983, p.59-60.
(43) CAD, G, p.113: b.
(44) CAD, G, p.114: a.

(٤٥) عيد اكيتو: أحد أبرز المناسبات الدينية السنوية التي كان يحتفل بها سكان العراق القديم بمناسبة حلول رأس السنة الجديدة وعلى ما يبدو أنَّ هذا العيد كان معروفًا في عصر دويلات المدن السومرية تحت تسمية AKITU ومن ثم أصبح أكثر انتشارًا في الألف الأول قبل الميلاد وقد عرف في البابلية rēš šatti بمعنى رأس السنة وكان الاحتفال يبدأ في اليوم الأول من شهر نيسان ويدوم لاثني عشر يومًا. ينظر: علي، فاضل عبد الواحد، المعتقدات الدينية، في: موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، موصل، ١٩٩١، ص٣١١.

(٤٦) أدونيس، ديوان الاساطير سومر واكاد واشور، ج٤، ترجمة: قاسم الشواف، بيروت، ٢٠٠١، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤٧) الكريماوي، خالد ناجي، الإله مردوخ كبير الالهة البابلية (دراسة في المعتقدات الدينية)، مراجعة: منذر علي عبد الملك، دمشق، ٢٠١٦، ص١٠٣.

(48) CAD, D, p.114: a.

(٤٩) الأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص٥٦.

(٥٠) الاسود، حكمت بشير، مصدر سابق، ص١٠٣-١٠٤. كذلك ينظر:

Langdor, S., Babylon an metrology and sematic calendars, London, 1935, p.20.

(51) Gureny, D.R., Tammuz Reconsidered, ISS, Vol.7, 1962, p.157.
(52) CAD, d, p.122: a.

(٥٣) المسلة السوداء: تعرف باسم المسلة السوداء أو مسلة شلمنصر الثالث، نفذت بالنحت البارز على حجر الرخام الاسود يبلغ ارتفاعها ٢/٠٢م، عثر عليها في النمرود من العالم البريطاني ارستن هنري لايارد وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني في لندن. ينظر:

Oates D., and Joan Nimrud an Assyrian Imperial City Revealed, London, 2001, p.18.

كذلك ينظر: مورتكارت، انطوان، ص٢٩٤.

(٥٤) شلمانُ اوصر (شلمنصر الثالث): ابن اشور – ناصر – ابلي (اشور ناصر بال) (٨٨٣–٨٥٩ ق.م) وخليفته كرس السنوات الأولى من حكمه لتقوية مركز بلاد آشور في الغرب فقام بحملة إلى ساحل البحر المتوسط ولم تلقَ أيّة مقاومة تذكر. للمزيد ينظر: حازم، حسين يوسف، الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص١٢–٩٥.